

وتُسمى السماء: الجرباء. أو يطلق ذلك على الناحية التي يدور فيها فلك الشمس والقمر. وإنما سميت السماء بذلك، تشبيهاً لنجومها بآثار الجرب. وسميت بالجرباء: "فسامة الطائفة" لحسنها الفائق؛ فقد كانت لاتقف إلى جنبها امرأة – وإن كانت جميلة – إلا استقبح منظرها بالإضافة إليها. فكان النساء يتحامين أن يقفن إلى جنبها! فشبهت بالناقاة الجرباء التي تتوقاها الإبل مخافة أن تعديها. ثم أطلق هذا الاسم على كل جارية حسناء. وأذكر حيناً هممت بالسفر من قريننا سندويل البلد – من قرى مركز المراغة مديرية سوهاج – إلى القاهرة؛ لأتم دراستي العالية بالأزهر ودار العلو؛ أن اجتمع أشياخي الريقيون لتوديعي؛ فكان من نصيحة أحدهم لي – نضراً – تراهم جميعاً:

1 – أن أسكن في رَبع من الرباع الخربة!.

2 – وألا أخرج إلى النزهة بشاطئ النيل؛ لأن الإمام "خليل" عمدة مذهب مالك لم ير النيل مدة عشرين عاماً.

3 – وأن اجتهد كل الاجتهاد في أن أصاب بالجرب؛ لأن الجرب سبب الفتوح! فضحك والدي – رحمه الله – وقال: إن كان العلم لا يأتي إلا من هذه السبل فلا مرحباً به!.

* * *

فعلت ما لم أفعل:

عن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر: أنه قيل له: ما كان أبوك مانعاً حيث يقول: لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل فقال: كان يقلع عينيه، ولا يرى مطعن أحبابه!.

وقد أخذ النقاد على جرير هذا البيت لانبهام ما يراد منه.